مجلة الدراسات الأثرية
المجلد :17 / العدد: 1/ 2019/ ص ص 62-77
ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

الحركة التعليمية و مراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

The educational movement and its centers in Constantine during Ottoman period

[2] ISŏP ŧlĥv LJh Ü ♦[1] ŧdžŏ2ǂ ŧlsĭŏ5

karimafelifeladouadi@gmail.com – (2Ffƒ2ɳ!ƒ) 2ĞʎŮƒ ƥnjƶdž IJ 2 2Ffƒ2ɳ!ƒ ŧƶdžĞɳ [1]

kheira.benbella@univ-alger2.dz – (2Ffƒ2ɳ!ƒ) 2ĞʎŮƒ ƥnjƶdž IJ 2 2Ffƒ2ɳ!ƒ ŧƶdžĞɳ [2]

تاريخ الإستلام : 2018/11/21 – تاريخ القبول : 2019/12/08 – تاريخ النشر : 2019/12/31

الملخص

تعتبر المساجد والمدارس والزوايا من اهم المراكز التعليمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني حيث ساهمت مساهمة فعالة من حيث النهوض بالحركة التعليمية و نشر العلم و رفع الجهل عن الناس فأصبحت مقصد طلاب العلم من مختلف انحاء القطر الجزائري، و ايضا تدل على رقي المدينة و تطورها وعلى دعم صالح باي لهذه المراكز ،كما ساهمت الأسر العلمية القسنطينية في تقدم الحركة التعليمية بالمدينة.

الكلمات المفتاحية: قسنطينة، المراكز التعليمية، الحركة التعليمية.

Abstract:

Mosques, schools, and zaouias were the most important educational centers in the city of Constantine during the Ottoman period, where effectively contributed to the education movement by spreading knowledge and ridding people of ignorance. Thus becoming the destination for all students from different regions of Algeria. It also shows the progress of the city and its evolution and the tremendous support of Salah Bey; the educated families of Constantine also distributed to the progress of the scientific movement in the city.

Keywords : Mosques , Constantine , Salah bey , education .

♦ ƒ!2đž!ƒ 2 .ý1ž!ƒ

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

اشتهرت مدينة قسنطينة بكونها عاصمة بايلك الشرق في العهد العثماني و كونها الحاضرة الثقافية و العلمية التي احتضنت العديد من المراكز الدينية و العلمية و استوطنها الكثير من العلماء و الأدباء و ازدهرت فيها الثقافة و بلغت درجة كبيرة من التطور الفكري بوأتها لتحتل مكانة الصدارة منافسة بذلك اكبر المراكز الفكرية و العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، و قد كان لإنشاء المراكز التعليمية بقسنطينة دور كبير في تطور الحياة الثقافية و أثر كبير في ازدهارها و قد عرفت هذه المراكز بها منذ

العهد الحفصي و استمرت و تطورت خلال العهد العثماني، و كان لإنشائها في هذه الفترة دور كبير في ارساء دعائم النهضة العلمية و الثقافية في ذلك العصر، ومن أشهر الحكام الذين اهتموا بالمجال العلمي صالح باي الذي عرفت مدينة قسنطينة في عهده تطور عمراني هائل حيث قام ببناء العديد من المراكز التعليمية من بينها مدرسة سيدي الكتاني والمعروفة بالمدرسة الكتانية في حي سوق العصر بجوار جامع سيدي الكتاني، و اولاها عناية خاصة سواء من حيث وضعه لنظام خاص تسير عليه، او من حيث طريقة الإنفاق عليها و تسييرها ماديا، و هذا ان دل انما يدل على حنكة و ذكاء صالح باي في حكمه و تسييره لمدينة قسنطينة، اذن فيما تمثلت هذه المراكز التعليمية؟، و ما هو دور مدرسة سيدي الكتاني؟ و ما هو النظام الذي وضعه صالح باي؟ ،ما هو نوع التعليم الذي كان يتلقاه أفراد المجتمع في هذه المراكز؟.

1/ الحركة التعليمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

اكتسبت مدينة قسنطينة شهرة واسعة في المجال العلمي و الثقافي منذ العهد الحفصي حيث كان بها العديد من العلماء و الأسر العلمية العريقة و كانت لهم مكانة مرموقة عند الأمراء الحفصيين حيث كانوا يقدرونهم و يحترمونهم و ينزلونهم أحسن منزلة لدرجة أنهم كانوا يعرفون أهلها بالعين و الاسم[1] ، اما في العهد العثماني فقد تواصلت شهرتها حيث تأتي بعد العاصمة من حيث الأهمية و هذا لكون مدينة وهران ظلت تحت الحكم الاسباني الى سنة 1205هـ/1791م، وكون مدينة تلمسان قد ضعفت مكانتها خلال

[1] ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تق و تح محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968،ص 164-165.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

هذا العهد ،كما اكتسبت مدينة قسنطينة أهميتها كونها مدينة داخلية و محصنة و لقربها من تونس ومن جهة اخرى فان بعدها عن مدينة الجزائر جعل حكامها شبه مستقلين عن السلطة المركزية[2] .

أما من ناحية التعليم لم يكن للسلطة العثمانية دخل فيه حيث كانت هدفها في تلك الفترة المحافظة على الاستقرار السياسي للبلاد و لم تكن مهتمة بتطوير المجتمع ثقافيا، حيث لم يكن لها سياسة للتعليم و لكن هناك استثناء في محاولة بعض البايات مثل محمد الكبير و صالح باي ، فالمدارس التي اسساها كانت تابعة للمساجد و الكتب التي حبساها كانت تلبية للشعور الديني عندهما و ليس للشعور العلمي ، و لم تكن خدمة التعليم هي الهدف الرئيسي، فقد كان التعليم خاصا و يقوم على جهود الأفراد

و المؤسسات الخيرية، و يدخل في هذا العموم رجال الدولة ايضا و لكن كأفراد ،فالآباء هم الذين كانوا يسهرون على تعليم اطفالهم، امتثالا لحث الدين على التعليم[3].

و مهما يكن فإن الأسرة الجزائرية هي التي كانت تتحمل اعباء التعليم و كانت الأوقاف و الصدقات و النفقات الخاصة هي التي تتكفل بتغذية التعليم و ليس من ميزانية الدولة، وكان اساس التعليم هو الدين فحفظ القرآن الكريم كان عمدة التعليم الابتدائي و معرفة بعض علوم القرآن كان عمدة التعليم الثانوي و العالي أيضا[4].

كانت الحركة العلمية بمدينة قسنطينة مزدهرة و الدليل على ذلك كثرة المساجد و المدارس و الزوايا ، حيث شهد القرن 12هـ/18م حركة قوية في صفوف العلماء و العناية بالتعليم و كثرة التأليف ففي أواخر القرن المذكور بدأت حركة نشيطة بتشجيع التعليم و العناية بالأوقاف و الاهتمام بالعلماء و الكتب و خاصة في عهد صالح باي[5]،حيث شجع على انشاء المراكز التعليمية و رعاية الحركة العلمية

[2] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 173، 174.
[3] نفسه، ج1، ص 314.
[4] نفسه، ج1، ص 315.
[5] ابو القاسم سعد الله ،المرجع السابق، ص 19.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

الثقافية و مواهتم بالتعليم و قرب اليه العلماء و رجال الدين و الفقهاء[6]، و كانت طبقة العلماء تتمتع

فيها بالسيادة المطلقة و النفوذ التام، كما أنها كان يقصدها عدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس و عشرين مدرسة للعلوم الدنيوية و الدينية، ثم يتفرقون في انحاء البلاد لينشروا ما اخدوه من العلوم[7].

أ/ المراكز التعليمية:

تعتبر المساجد و الكتاتيب و المدارس و الزوايا من اهم المراكز التعليمية بالجزائر خلال العهد العثماني حيث ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم و رفع الجهل عن الجزائريين، فأصبحت مقصد طلاب العلم من مختلف القطر الجزائري ، و على غرار المدن الأخرى نجد انه في مدينة قسنطينة العديد من المراكز التعليمية و هي:

أولا/ الكتاتيب:

مفردها كتاب أو مكتب توجد بكثرة في الحواضر و في البوادي تسمى شريعة[8]، و تكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء و في الدكاكين و المساجد[9]، فراشها عبارة عن زرابي و حصائر، و على جدرانها مسامير لتعليق الألواح و العصا الطويلة للمدرس ،أما بالنسبة للأطفال فيطلق عليهم اسم طلاب و المعلم يسمى بالمؤدب، و يتميز الكتاب بالنظام و انضباط الأطفال و التزامهم الأدب و الاحترام التام للمؤدب حيث يحترمون المواعيد ،و يتركون نعالهم بالقرب من الباب و يأتون بلباس لائق و يقبلون يد مؤدبهم[10].

ثانيا/ المساجد:

[6] محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على اوطانها ، تق و تح يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1991، ص 64.

[7] خيرة بن بلة نايم، المساجد الجامعة بالجزائر في العهد العثماني، موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص 32.

[8] رقية شارف، التاريخ و المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني و الى غاية 1267هـ/1850م،رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2016، ص 30

[9] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم و تعليق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 59.

[10] رقية شارف، المرجع السابق، ص 30, 31.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

لقد أدت المساجد دوراً أساسيا في التعليم منذ صدر الإسلام وظلت تحتفظ بهذا الدور طيلة القرون التالية، حيث يمكن اعتبارها الأصل الذي تعود إليه المدارس في نشأتها، فقد كانت تعقد به حلقات العلم منذ عهد الرسول صلى الله عليه و سلم[11]، و لم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب،

بل كانت منبرا للعلوم والمعارف، و قد عرفت مدينة قسنطينة انتشارا واسعا للمساجد خاصة في عهد صالح باي حيث قدر عددها حوالي خمسة و سبعين مسجدا و جامعا بالإضافة الى سبعة مساجد تقع خارج المدينة[12]، و اشهرها جامع سوق الغزل و الجامع الأخضر بالإضافة الى مسجد سيدي الكتاني الذي يعتبر احد مكونات مركب الكتانية.

ثالثا/ المدارس:

ظهرت المدارس بعد أن اتسعت رقعة و اتصل المسلمون بحضارات و شعوب اخرى غير مسلمة و احتكوا بها، و دعت الحاجة الى اقتباس علومها و معارفها و الاستفادة منها، و لم يكن باستطاعة

المسجد وحده أن يقوم بهذا الدور، فاهتم المسلمون بإنشاء مثل هذه المدارس و تعميمها، و جرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد نظرا للصلة الوثيقة بين الدين و العلم، و لكن هذا ليس شرطا غير أن كل مدرسة لابد أن يؤسس داخلها بيت للصلاة [13].

و بمدينة قسنطينة نجد عدة مدارس منها مدرسة الجامع الأخضر و مدرسة سيدي الكتاني التي تنشر تعليما في المستوى الثانوي و العالي[14].

[11] رشاد عباس معتوق، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1990م، ص211-212.

[12] Féraud L ; " les anciens établissements religieux musulmans de Constantine" ,in R A ,N°68,1868,p 129,130.

[13] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 198.

[14] ابو القاسم سعد الله، ج1، المرجع السابق، ص 284.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

رابعا /الزوايا:

تعتبر الزوايا من المراكز التعليمية المهمة ،بالإضافة لكونها موضعا لاجتماع المتصوفة للعبادة و الذكر، كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم ،كما يسمح لهم بالسكن فيها[15]،و يظهر الدور الإيجابي لها على الخصوص في التعليم بجميع مستوياته سواء في الزوايا الريفية او في المدينة و بمدينة قسنطينة توجد حوالي ستة عشر زاوية منها زاوية سيدي عبد المؤمن و زاوية حنصالة و زاوية بن عبد الرحمان ، و قد كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة مثل زاوية ابن الفكون و زاوية ابن نعمون و زاوية اولاد جلول[16] .

ب/ مراحل التعليم:

ينقسم التعليم الى ثلاث مراحل :

1- مرحلة التعليم الإبتدائي:

تعتبر المرحلة الأولى من التعليم و تسمى مرحلة التعليم الابتدائي حيث يتلقى فيها الأطفال العلم بعد بلوغهم سن الخامسة أو السادسة، و كانوا يتعلمون فيها القراءة و الكتابة و حفظ أجزاء من القرآن و تجويده [17] ، و كان الأطفال يجلسون فوق الحصائر و السجاجيد حول المعلم فيملي عليهم اجزاء من القرآن الكريم يكتبونها على الواح خشبية مطلية بطين الصلصال بأقلام من القصب و صمغ مصنوع من

الصوف المحروق، و بعد كتابته و تصحيحه في الفترة الصباحية ، يتمرن الأطفال على قراءته قراءة أولية ثم يتلونه في المساء ، و يقرؤونه بأصوات جهورية حتى يحفظوه ثم يمحوه في صباح اليوم الموالي، و يكتبوا غيره و هكذا بصفة دورية و دائمة[18] ، حتى يأتوا على كل سور و احزاب القرآن الكريم، بالإضافة الى كل ذلك يتلى الأطفال قواعد تلاوة القرآن و تجويده و ترتيله على الروايات السبع و العشر

[15]. كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و التعليمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص 117.

[16] ابو القاسم سعد الله، ج1، المرجع السابق، ص 265-269.

[17] كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 113.

[18] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 199-200.

و على الطابع الإسلامي للجزائر[19] .

2- مرحلة التعليم الثانوي:

كان يمارس هذا التعليم في المساجد و المدارس و الزوايا و كان يقدم مجانا كالتعليم الابتدائي، ما عدا ماعدا ما يقدمه الطالب لشيخه في شكل هبات و هدايا، يسكن فيها الطالب الذي يكون في سن المراهقة(14-20سنة)، اذا كان قادما من بعيد، و الطالب حر في اختيار شيخه الذي قد يواصل معه الدروس و قد يغادر لشيخ آخر[20]، أما عن المواد التي تدرس فيها هي اللغة العربية و فروعها كالصرف و النحو و الحساب و غيرها من العلوم[21].

3- مرحلة التعليم العالي:

كانت دروسه تلقى في الجوامع الكبرى و المدارس و الزوايا ،سمي مدرسه عالما أما الطالب فقد يكتفي بدروس هذه المراكز و قد يسافر من أجل الاستزادة في العلم الى الزيتونة أو فاس أو الأزهر، و قد اشارت بعض التقديرات الى وجود حوالي ستمائة الى ثمانمائة طالب في هذا المستوى في كل اقليم من أقاليم الجزائر[22]، أما المواد التي تدرس في هذه المرحلة فكانت اغلبها العلوم الدينية كالفقه و التفسير و الحديث و التوحيد و غيرها[23].

ج/ مدرسة سيدي الكتاني:(صورة 01)

شجع صالح باي انشاء المراكز التعليمية و رعاية الحركة العلمية في مدينة قسنطينة حيث شكل في عهده قاعدة قوية للتعليم و شجع العلم و العلماء فانتشرت في عهده المدارس و المساجد و كثرة التأليف، و قد كان لهذه المراكز دور فعال في بث الإشعاع العلمي في جميع انحاء المدينة باستقطابها لطلبة العلم من كل حدب و صوب نظرا لما كانت تتوفر عليه من علماء و معلمين اجلاء و احسن مثال على ذلك مدرسة سيدي الكتاني التي تقع في شمال المدينة القديمة، و تحد سوق العصر من الشمال و يمكن

[19] نفسه، ص 200-201.
[20] رقية شارف، المرجع السابق، ص 45.
[21] ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص 483.
[22] رقية شارف، نفس المرجع، ص 48.
[23] ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص 483

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

الوصول اليها من خلال العديد من الشوارع أهمها شارع بن شعلال اسماعيل و شارع الاخوة منتوري و شارع رابح بشيري و شارع شعبان تاسور وشارع محمد كاحول و من خلال ساحة سوق العصر ايضا،

بنيت من طرف صالح باي سنة 1780م[24]، و هو الباي الرابع و العشرون لبايلك قسنطينة و دام حكمه 22 سنة[25]، عرفت المدينة في عهده تطورا عمرانيا كبيرا حيث اقام حي سيدي الكتاني و ذلك ببناءه للمسجد و المدرسة و اجرى عليهما الاوقاف[26] .

تحتوي المدرسة على قاعة الصلاة أو قاعة الدرس و خمسة غرف، واحدة للأساتذة و الأخرى للطلبة بالإضافة الى نافورة للوضوء و مخزن[27]، بالإضافة الى مقبرة خاصة بصالح باي و عائلته و بعض اعيان المدينة و تقع في الجهة الغربية من الصحن(صورة 02).

صورة01: صحن مدرسة سيدي الكتاني

[24] خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2007، ص129.

[25] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية(دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص152.

[26] احمد توفيق المدني، مذكرات احمد الشريف الزهار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1974، ص 65.

[27] Mahfoud K ; L'Algérie durant la période Ottomane, OPU, Alger, 2002, p163

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

صورة02: المقبرة

اهم شيء قام به صالح باي خدمة لتعليم هو وضعه لقانون خاص بالمدرسة تسير عليه و هو قانون يضمن لها السير الحسن سواء من حيث التعليم أو من حيث تنظيم الطلبة الداخليين و هذا كله من اجل نجاح المدرسة و تفوق طلبتها على مستوى مدينة قسنطينة.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

أ/ قانون المدرسة :

أصدر صالح باي قانونا خاصا بالمدارس في شوال/سبتمبر 1194هـ/1780م[28]، و جاء فيه ما يلي:

- يقبل الطلبة الداخليين في المدرسة و يكون عددهم ثمانية، كل طالبين في غرفة.
- يوجد وكيل للمدرسة مكلف بميزانية المدرسة و بواب من أجل تنظيفها و اشعال مصابيح الاضاءة في قاعة الصلاة.
- يكون راتب الأساتذة ثلاثين ريالا في السنة، و راتب الوكيل ثمانية ريالات، و البواب سبعة ريالات، أما الطلبة فيكون ستة ريالات.
- يقدم الأساتذة ثلاث دروس في اليوم، الدرس الاول منذ طلوع الشمس حتى الحادية عشر صباحا، و الدرس الثاني من منتصف النهار حتى الثالثة عصرا، و الدرس الثالث و الاخير يمتد من الثالثة و النصف عصرا حتى غروب الشمس.
- يجب على الطلبة قراءة اربعة احزاب يوميا، اثنين بعد صلاة الفجر و الآخرين بعد العصر و يختم الطلبة دروسهم بالدعاء لمؤسس المدرسة.
- اما عن طريقة القبول في المدرسة ، يقبلون فقط الطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم سواء من المدينة او الريف، مالكيين او حنفيين شرط ألا يكونوا متزوجين.
- لا يجوز لأي طالب داخلي ان يبيت خارج المدرسة إلا اذا حصل أمر طارئ أو لزيارة والديه. أما العطل فمدتها ثمانية أيام او ثلاثين يوما ،اذا لم يدخل الطالب الى المدرسة بعد هذه المدة و لم يبرر تأخره اذا كان مريضا يتم فصله و تعويضه بطالب آخر.
- كل طالب تجاوز عشر سنوات و لم يحقق اي تقدم و لم يظهر القدرة من اجل دراسة العلوم سيتم فصله و تعويضه بطالب آخر.

[28] رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة الفن و الثقافة، وزارة الإعلام و الاتصال، الجزائر ، 1978،ص 126.

من تكون معاملته سيئة و يثير المشاكل من سب و شتم يتحصل على ثلاث انذارات بعدها يتم

اذا لم يتحسن معاملته يتم طرده.

- لا يتم السماح للعمال او الطلبة الخارجيين بالمبيت داخل المدرسة تحت اي ظرف كان .
- كل طالب لا يتبع دروس استاذه بدقة يتم طرده[29].
- ممنوع ادخال الاكل و الملابس و الاواني المنزلية الا التي يحتاجها بشدة المقيمون.

- لا يمكن للطلبة الداخليين تسخين اكلهم الا على الفحم و لا يسمح بتسخينه على الخشب ،و لا يسمح لهم بغسل ملابسهم داخل المدرسة[30].

و نستخلص من هذه القوانين جانب كبير من ذكاء و حنكة صالح باي بالإضافة الى مساعدة علماء كبار مثل الشيخ العباسي قاضي المالكية و الشيخ عبد القادر الراشدي مفتي الحنفية[31]، بالإضافة الى هدفه الكبير و هو نشر التعليم بين الناس و اخراج علماء ليرفعوا الجهل عن الناس و خدمة للدين الإسلامي، بالإضافة الى كل ما سبق انه من خلال هذا القانون يمكننا معرفة ان المدرسة كانت ذو طابق واحد و هو الطابق الأرضي حيث يحتوي على اربعة غرف و كما ذكر في القانون انه يقبل في المدرسة ثمانية طلاب فقط كل طالبين في غرفة ، فالطابق الثاني حديث من بناء الفترة الاستعمارية ،حيث تعرضت المدرسة الى الكثير من التغييرات مست عدة جوانب منها في تلك الفترة و حتى بعد الاستقلال.

2/ مصادر الإنفاق على المراكز التعليمية:

تقوم المؤسسات التعليمية على أرضية اقتصادية جماعية هي نظام الأوقاف و هي تشمل على أملاك ذات مردودية تصرف على المساجد و مدارس التعليم[32].

أما من الوجهة الإدارية فإن أغلبية المدن كان لها ناظر للأوقاف لا يقل أهمية في بعض الأحيان عن القاضي أو المحتسب و خصوصا إذا كانت المدينة غنية بعدد مؤسساتها الثقافية و الدينية و تتلخص مهام ناظر الأوقاف في كراء العقارات المحبسة و جمع أموالها ثم توزيعها على المؤسسات المعنية للسهر على صيانتها و مرتبات الأساتذة و القيام بضروريات المتعلمين من الطلبة[33].

---

[29] Mahfoud K ; op. cit, p 163,164.

[30] Mahfoud K; op.cit , p164.

[31] Mercier E ; Histoire de Constantine, imp. Jérôme marle et F. Biron, Constantine, 1903, p294.

[32] عبد المجيد مزيان، "المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار"، مجلة التاريخ ،العدد22،الجزائر، 1986م، ص11.

[33] نفسه، ص12.

من اهم الأعمال التي قام بها صالح باي في مدينة قسنطينة هو تنظيمه للأحباس و تقييدها في سجلات لحفظها من الضياع، و من الأسباب التي دفعته الى وضع جل احباسه على المدرسة و الجامع الكتاني هو اهتمامه بهذه المدرسة، فقد وضعت هذه الأحباس في خدمة المدرسة و توفير اجور العمال و المدرسين و كذا المنحة التي تقدم للطلبة و اعمال الصيانة بها، فصالح باي عند تأسيسه للمدرسة الكتانية احاطها بمورد دائم للأموال، و هذا ما جعلها تستمر بالعطاء و تكوين الطلبة و تخريج اجيال من المثقفين، و قد نظم صالح باي مؤسسة الأوقاف و هو الشيء الذي ساعد جل المؤسسات الثقافية و الدينية في الاستمرار و المضي قدما نحو الأمام[34].

ان من الأسباب التي دفعت بصالح باي الى استحداث دفتر خاص بالأوقاف (صورة03) و تشديد الرقابة عليه هي التقصير و الاهمال الذي طال المساجد و المدارس بضياع اوقافها نتيجة لذلك قام بتقييدها في سجلات اربع متماثلة و وزعها واحد عند صاحب بيت المال و الثاني عند شيخ البلد و الثالث عند قاضي الحنفية و الرابع عند قاضي المالكية[35]، و بهذا تكون الاوقاف ساهمت في الحياة الثقافية بفضل ما اوقفته مختلف الشرائح الاجتماعية من عقارات و غيرها ، و لولا ذلك لما استطاعت تلك المؤسسات و المراكز الاستمرار في تأدية وظائفها الدينية و الثقافية[36].

3/ دور الأسر العلمية في مجال التعليم:

تميزت مدينة قسنطينة طوال العهدين الحفصي و العثماني بظهور طبقة من الحضر التي كان لها تأثير مباشر على الأوضاع الداخلية بالمدينة و استطاعت العديد من عائلاتها ان تحصل ثروات كبرى سيما العائلات القريبة من السلطة أو تلك التي تشتغل بالتجارة ،كما حصلت تلك العائلات على الجاه و المكانة الاجتماعية المرموقة و قد دأبت على التنافس فيما بينها حول النفوذ و الامتيازات في المدينة منذ العهد الحفصي[37].

[34] حليم طاهري، مدرسة صالح باي و مقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 75.

[35] Féraud L ; op.cit , p 124.

[36] عائشة غطاس، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700، 1830، منشورات Anep، الجزائر، 2012، ص 85.

[37] فوزية لزغم، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 145

الدينية دورا فعالا و نافذا ، و قد كان معظمها يعيش على العلم و التجارة و الزراعة لأن قيمة العائلة كانت في تراثها العلمي و تنشئة أبنائها عليه من حفظ القرآن الكريم إلى تولية القضاء و الفتوى و التدريس حيث كان لدى قسنطينة رصيد قوي من الثقافة ورثته عن العهد الحفصي[38].

كما وفرت للمجتمع القسنطيني عدد كبير من رجال العلم من الفقهاء و الادباء ،اعتمد عليهم العثمانيون في الوظائف الدينية على وجه الخصوص، كما تتميز مدينة قسنطينة باحتفاظ العديد من عائلاتها خلال

العهد العثماني بأمجادها العلمية التي عرفت بها خلال العهد الحفصي كبيت الفكون و بيت ابن باديس و بيت الكماد[39].

و قد عرفت قسنطينة نشاطا علميا و ثقافيا في القرن 10هـ/16م فقد ساهمت بعض العائلات كعائلة الفكون مساهمة فعالة في النهوض بالحياة العلمية و الفكرية به حيث تعتبر من أقدم العائلات و قد اشتهرت بالعلم و الصلاح و قد تولت امارة ركب الحج.

كما عرفت شخصيات علمية متميزة كعمر الوزان و يحيى الفكون و قد اخرج هؤلاء الرجال مجموعة من التلاميذ البارزين منهم من قاد العلم فيما يأتي من الأيام و منهم من جمع بين العلم و التصوف[40].

[38] ابو القاسم سعدالله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 22.

[39] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 147.

[40] ابو القاسم سعدالله، شيخ الإسلام .. ،المرجع السابق، ص 22-37

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

خاتمة:

- ان هذه المراكز بمختلف أنواعها قامت بتلبية احتياجات الشعب الجزائري في تلك الفترة حيث كانت بيئة مشجعة لطلب العلم و قد اخرجت بذلك علماء اجلاء ساهموا مساهمة كبيرة في رفع الجهل عن الناس و خلق مجتمع متعلم و واعي.
- التعليم في الجزائر عامة و في مدينة قسنطينة خاصة كان يغلب عليه الطابع الديني و لكنه نجح في رفع الجهل عن الشعب و تعليمه القراءة و الكتابة.
- تمثل مدرسة سيدي الكتاني عينة من عينات كثيرة من مختلف المدارس و المراكز التعليمية المنتشرة عبر القطر الجزائري و التي ادت دورها بشكل تام في الحركة التعليمية من خلال محاربة الجهل و تثقيف الشعب الجزائري و تعليمه أصول الدين الإسلامي و ترسيخها في المجتمع.
- تدل كثرة المراكز التعليمية في مدينة قسنطينة على حضارة المدينة و رقيها ، و ايضا تدل على الدعم الكبير الذي تحظى به من طرف الباي الذي اولاها اهتماما كبيرا بها من حيث الإنفاق عليها و ذلك من خلال الأوقاف التي كان لها دور كبير في استمرارها من حيث اجور المعلمين و الطلبة و ايضا من حيث صيانتها .
- أيضا نلاحظ الدور الكبير الذي لعبته الأسر العلمية في المجال التعليمي بحكم انها عائلات ذات ثقافة و علم كبيرين و كانت تتولى الإفتاء و القضاء في مدينة قسنطينة و تجلى دورها في انشاء

مراكز تعليمية لتعليم الفقراء من عامة الشعب و هذا راجع لإحساسها بكبر المسؤولية التي تقع على عاتقها بحكم مكانتها العريقة و التي امتدت منذ العهد الحفصي و ايضا لقربها من الباي و مكانتها عنده حيث كان صالح باي يقدرها و هذا راجع اولا لمكانتها العلمية و ايضا راجع لمكانتها عند الشعب و هذا كله يدخل في اطار سياسة صالح باي التي تبناها و هي كسب حب و رضا الرعية.

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تق و تح محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.
- بن العنتري محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على اوطانها ، تق و تح يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1991.
- بن ميمون الجزائري محمد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم و تعليق محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- المدني احمد توفيق ، مذكرات احمد الشريف الزهار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1974.

المراجع:

- بن بلة نايم خيرة ، المساجد الجامعة بالجزائر في العهد العثماني، موفم للنشر، الجزائر، 2015.
- بورويبة رشيد ، قسنطينة، سلسلة الفن و الثقافة، وزارة الإعلام و الاتصال، الجزائر ، 1978.
- سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- سعدالله ابو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية (دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- غطاس عائشة ، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700، 1830، منشورات Anep ، الجزائر، 2012.

،العدد22،الجزائر، 1986م.

رسائل جامعية:

- بن بلة خيرة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2007.
- شارف رقية ، التاريخ و المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني و الى غاية 1267هـ/1850م،رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2016.
- طاهري حليم ، مدرسة صالح باي و مقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- لزغم فوزية ، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.
- معتوق رشاد عباس ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1990م.

كتب باللغة الأجنبية:

Féraud L ; " les anciens établissements religieux musulmans de Constantine", in R A, N°68,1868

Mahfoud K ; L'Algérie durant la période Ottomane, OPU, Alger, 2002

Mercier E; Histoire de Constantine, imp. Jérôme marle et F.Biron, Constantine, 1903.